Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتلك مزية واحدة تحسب للألفاظ ، ولكنها مع وحدتها ليست من المزايا التى يستهان بها فى التعبير اللغوى ، وفى التعبير الأدبى بالذات ؛ لأن لذلك أثره المباشر فى الإمتاع والإطراب ، وأثره فى تحريك النفوس ، وتهيئتها لقبول تأثير الصور والأفكار التى تتضمنها . فاللفظ بخاصة ، والشكل بعامة يلعب دوراً فى العمل الأدبى ، وفى التأثر به ، وإن كان ذلك التأثير لايكفى ، وإنما يحقق غايته ويبلغ مداه بالمادة والمضمونات . ويشير سانتيانا(١) إلى أن وجود المادة الحسية لابد منه فى الجمال ، ومهما كانت له من أهمية ثانوية فى الرداء الجميل أو البناء أو القصيدة مثلا ، فلابد للشكل أن يكون شكلا لشىء . ولذلك فإننا إن تجاهلنا مادة الأشياء ، أو قصرنا اهتمامنا على شكلها فى كشفنا عن الجمال أو إبداعه سنفقد فرصة تزيد التأثير غزارة وحدة دائما . فمهما تكن اللذة التى يبعثها الشكل فإن المادة تولد لذة أيضاً . وتزيد القيمة النهائية للتأثير بإضافة هذه اللذة .

« إن الجمال الحسى ليس أهم العناصر فى التأثير ، ولا هو أعظمها ، ومع ذلك فهو أكثرها بدائية وشمولا ، لأنه يتعلق بالأساس الذى لابد للبناء أن يقوم عليه .

ولايوجد شكل لاتزيد المادة من تأثيره فى النفس . وهذا التأثير للمادة الذى يوجد خلف تأثير الشكل يزيد من قوته ، ويخلع على جمال الموضوع حدة وكمالا ماكان الموضوع يستطيع أن يحققهما بدونه . فلو لم يكن معبد « البارثينون » مصنوعاً من المرمر ، ولو لم يكن التاج مصنوعاً من الذهب ، والنجوم من النار ، لكانت هذه الأشياء عديمة الجمال ، ضعيفة الأثر فى النفس .

فالفتنة الأخاذة التى يسحر بها جمال المادة حواسنا من شأنها أن تحفزنا – مادام الشكل أيضاً ذا جلال – وأن تسمو بنا ، وتزيد انفعالاتنا شدة . ونحن فى حاجة إلى هذا المؤثر ، لكى تصل إدراكاتنا إلى أقصى درجة من القوة والحدة . ولا يأسرنا شىء لم يتحقق الجمال فى كل نواحيه » .

ولهذا تبدو ضرورة التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، وذلك يكون – كما يقول الزيات(١) بتقطيعه فقراً وفواصل ، تقصر أو تطول تبعا لحالات النفس والفكر . فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولكل